تفسير سورة السجدة

هى ثلاثون آية . وهى مكية ، كما رواه ابن الضريس وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس . ورواه ابن مردويه عن ابن الزبير . وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال : هى مكية سوى ثلاث آيات : ﴿ **أفمن كان مؤمنا** ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث ، وكذا قال الكلبى ومقاتل ، وقيل : إلا خمس آيات من قوله : ﴿ **تتجافى جنوبهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **الذى كنتم به تكذبون** ﴾ . وقد ثبت عند مسلم وأهل السنن من حديث أبى هريرة ؛ أن النبى ﷺ كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة بـ ﴿ **آلم . تنزيل** ﴾ السجدة، و﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ [الإنسان: ١] . وأخرجه البخارى ومسلم وغيرهما من حديثه أيضا (١) . وأخرج أبو عبيد فى فضائله ، وأحمد وعبد بن حميد والدارمى والترمذى والنسائى ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن جابر قال : كان النبى ﷺ لا ينام حتى يقرأ: ﴿ **آلم . تنزيل** ﴾ السجدة و ﴿تبارك الذى بيده الملك ﴾ [الملك : ١] (٢) . وأخرج أبو نصر والطبرانى ، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال : « من صلى أربع ركعات خلف العشاء الأخيرة قرأ فى الركعتين الأوليين ﴿ قل **يأيها الكافرون** ﴾ [الكافرون : ١] و﴿ قل هو الله أحد ﴾ [الإخلاص : ١] وفى الركعتين الأخريين . ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ و﴿ **آلم .تنزيل** ﴾ السجدة كتبن له كأربع ركعات من ليلة القدر » (٣) . وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ و﴿ **آلم . تنزيل** ﴾ السجدة بين المغرب والعشاء فكأنما قام ليلة القدر». وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ فى ليلة ﴿ **آلم . تنزيل** ﴾ السجدة و﴿ يس ﴾ [يس : ١] و﴿ **اقتربت الساعة** ﴾ [القمر : ١] و﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ كن له نورا وحرزا من الشيطان ، ورفع فى الدرجات إلى يوم القيامة » . وأخرج ابن الضريس عن المسيب بن رافع ، أن النبى ﷺ قال : « ﴿ **آلم .تنزيل** ﴾ تجىء لها جناحات يوم القيامة تظل صاحبها وتقول : لا سبيل عليه ، لا سبيل عليه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ**

(١) البخارى فى الصلاة (٨٩١) ومسلم فى الجمعة (٨٨٠/ ٦٥) والنسائى فى الكبرى فى افتتاح الصلاة (١٠٢٧/ ١) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (٨٢٣) والدارمى ١/ ٣٦٢ .

(٢) أحمد ٣/ ٣٤٠ والدارمى ٢/ ٤٥٥ والترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩٢) وقال : « هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبى سليم » والنسائى فى الكبرى فى اليوم والليلة (١٠٥٤٣) وصححه الحاكم ٢/ ٤١٢ على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

(٣) الطبرانى (١٢٢٤٠) وقال الهيثمى فى المجمع ٢ / ٢٣٤ : « وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ضعفه أحمد وابن المدينى وابن معين وقال البخارى : مقارب الحديث . وثقه مروان بن معاوية ، وقال أبو حاتم : محله الصدق وكانت فيه غفلة » والبيهقى ٢ / ٤٧٧ وإسناده ضعيف .

الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤) يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٥) ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠) قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) .

قوله : ﴿ **آلم** ﴾ قد قدمنا الكلام على فاتحة هذه السورة وعلى محلها من الإعراب فى سورة البقرة وفى مواضع كثيرة من فواتح السور ، وارتفاع ﴿ **تنزيل** ﴾ على أنه خبر لمتبدأ محذوف أو خبر بعد خبر على تقدير أن ﴿ **آلم** ﴾ فى محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أو خبر لقوله : ﴿ **آلم** ﴾ على تقدير أنه اسم للسورة ، و﴿ **لا ريب فيه** ﴾ فى محل نصب على الحال ، ويجوز أن يكون ارتفاع ﴿ **تنزيل** ﴾ على أنه مبتدأ وخبره لا ريب فيه، و﴿ **من رب العالمين** ﴾ فى محل نصب على الحال ، ويجوز أن تكون هذه كلها أخبارا للمبتدأ المقدر قبل ﴿**تنزيل**﴾ ، أو لقوله : ﴿ **آلم** ﴾ على تقدير أنه مبتدأ لا على تقدير أنه حروف مسرودة على نمط التعديد . قال مكى : وأحسن الوجوه : أن تكون ﴿ **لا ريب فيه** ﴾ فى موضع الحال ، و﴿ **من رب العالمين** ﴾ الخبر ، والمعنى على هذه الوجوه : أن تنزيل الكتاب المتلو لا ريب فيه ولا شك وأنه منزل من رب العالمين ، وأنه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الأولين .

و« أم » فى : ﴿ **أم يقولون افتراه** ﴾ هى المنقطعة التى بمعنى بل والهمزة ، أى بل أيقولون هو مفترى ؟ فأضرب عن الكلام الأول إلى ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام المتضمن للتقريع والتوبيخ ، ومعنى ﴿ **افتراه** ﴾ : افتعله واختلقه . ثم أضرب عن معتقدهم إلى بيان ما هو الحق فى شأن الكتاب فقال : ﴿ **بل هو الحق من ربك** ﴾ فكذبهم سبحانه فى دعوى الافتراء ، ثم بين العلة التى كان التنزيل لأجلها فقال : ﴿ **لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك** ﴾ وهم العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم رسول . وقيل : قريش خاصة ، والمفعول الثانى ﴿ **لتنذر** ﴾ محذوف ، أى لتنذر قوما العقـاب ، وجملة : ﴿ **ما أتاهم من نذير** ﴾ فى محل نصب على الحال و﴿ **من قبلك** ﴾ صفة لنذير . وجوز أبو حيان أن تكون ما موصولة ، والتقدير : لتنذر قوما العقاب الذى أتاهم من نذير من قبلك ، وهو ضعيف جدا ، فإن المراد : تعليل الإنزال بالإنذار لقوم لم يأتهم نذير قبله ، لا تعليله بالإنذار لقوم قد أنذروا بما أنذرهم به . وقيل : المراد بالقوم : أهل

الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ﴿ **لعلهم يهتدون** ﴾ رجاء أن يهتدوا ، أو كى يهتدوا .

﴿ **الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ قد تقدم تفسير هذه الآية فى سورة الأعراف ، والمراد من ذكرها هنا: تعريفهم كمال قدرته وعظيم صنعه ليسمعوا القرآن ويتأملوه ، ومعنى خلق : أوجد وأبدع . قال الحسن : الأيام هنا هى من أيام الدنيا . وقيل : مقدار اليوم ألف سنة من سنى الدنيا ، قاله الضحاك . فعلى هذا المراد بالأيام هنا : هى من أيام الآخرة لا من أيام الدنيا ، وليست ثم للترتيب فى قوله : ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ وقد تقدم تفسير هذا مستوفى ﴿ **ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع** ﴾ أى ليس لكم من دون الله أو من دون عذابه من ولى يواليكم ويرد عنكم عذابه ، ولا شفيع يشفع لكم عنده ﴿ **أفلا تتذكرون** ﴾ تذكر تدبر وتفكر وتسمعون هذه المواعظ سماع من يفهم ويعقل حتى تنتفعوا بها .

﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ لما بين سبحانه خلق السموات والأرض وما بينهما، بين تدبيره لأمرها ، أى يحكم الأمر بقضائه وقدره من السماء إلى الأرض ، والمعنى : ينزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة ،كما قال سبحانه : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ [الطلاق : ١٢] ومسافة ما بين سماء الدنيا والأرض التى تحتها نزولا وطلوعا ألف سنة من أيام الدنيا . وقيل : المراد بالأمور: المأموربه من الأعمال ، أى ينزله مدبرا من السماء إلى الأرض . وقيل : يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة أحكامها وآثارها إلى الأرض . وقيل :ينزل الوحى مع جبريل . وقيل : العرش موضع التدبيركما أن ما دون العرش موضع التفصيل كما فى قوله : ﴿ ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات ﴾ [الرعد: ٢] وما دون السموات موضع التصرف. قال الله: ﴿ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ﴾ [الفرقان : ٥٠] .

ثم لما ذكر سبحانه تدبير الأمر قال : ﴿ **ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾ أى ثم يرجع ذلك الأمر ويعود ذلك التدبير إليه سبحانه فى يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ، وذلك باعتبار مسافة النزول من السماء والطلوع من الأرض كما قدمنا . وقيل : إن المراد أنه يعرج إليه فى يوم القيامة الذى مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ، وذلك حين ينقطع أمر الدنيا ويموت من فيها . وقيل : هى أخبار أهل الأرض تصعد إليه مع من يرسله إليها من الملائكة ، والمعنى : أنه يثبت ذلك عنده ، ويكتب فى صحف ملائكته ما عمله أهل الأرض فى كل وقت من الأوقات إلى أن تبلغ مدة الدنيا آخرها . وقيل : معنى يعرج إليه : يثبت فى علمه موجودا بالفعل فى برهة من الزمان هى مقدار ألف سنة ، والمراد : طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان . وقيل : يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها فى اللوح المحفوظ فتنزل بها الملائكة ، ثم تعرج إليه فى زمان هو كألف سنة من أيام الدنيا . وقيل : يقضى قضاء ألف سنة فتنزل به الملائكة ، ثم تعرج بعد الألف لألف آخر . وقيل : المراد : أن الأعمال التى هى

طاعات يدبرها الله سبحانه وينزل بها ملائكته ثم لا يعرج إليها منها إلا الخالص بعد مدة متطاولة لقلة المخلصين من عباده . وقيل : الضمير فى : ﴿ يعرج ﴾ يعود إلى الملك ، وإن لم يجر له ذكر لأنه مفهوم من السياق ، وقد جاء صريحا فى قوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ [المعارج : ٤] والضمير فى إليه يرجع إلى السماء على لغة من يذكرها ، أو إلى مكان الملك الذى يرجع إليه وهو الذى أقره الله فيه .وقيل : المعنى : يدبر أمر الشمس فى طلوعها وغروبها ورجوعها إلى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة. وقيل : المعنى : إن الملك يعرج إلى الله فى يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مسافة خمسمائة عام ، فمسافة النزول من السماء إلى الأرض والرجوع من الأرض إلى السماء ألف عام ، وقد رجح هذا جماعة من المفسرين منهم ابن جرير . وقيل : مسافة النزول ألف سنة ومسافة الطلوع ألف سنة ، روى ذلك عن الضحاك . وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة ، وليس المراد به مسمى اليوم الذى هو مدة النهار بين ليلتين ، والعرب قد تعبر عن المدة باليوم كما قال الشاعر :

يومان : يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

فإن الشاعر لم يرد يومين مخصوصين . وإنما أراد أن زمانهم ينقسم شطرين ، فعبر عن كل واحد من الشطرين بيوم . قرأ الجمهور : ﴿ يعرج ﴾ على البناء للفاعل . وقرأ ابن أبى عبلة على البناء للمفعول ، والأصل : يعرج به ثم حذف حرف الجار فاستتر الضمير . وقد استشكل جماعة الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج : ٤] فقيل فى الجواب : إن يوم القيامة مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ، ولكنه باعتبار صعوبته وشدة أهواله على الكفار كخمسين ألف سنة ، والعرب تصف كثيرا يوم المكروه بالطول ، كما تصف يوم السرور بالقصر ، كما قال الشاعر :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقول الآخر :

ويوم كإبهام القطاة قطعته

وقيل : إن يوم القيامة فيه أيام ؛ فمنها ما مقداره ألف سنة ، ومنها ما مقداره خمسون ألف سنة . وقيل: هى أوقات مختلفة يعذب الكافر بنوع من أنواع العذاب ألف سنة ، ثم ينقل إلى نوع آخر ، فيعذب به خمسين ألف سنة . وقيل : مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف سنة ، فيكون معنى ﴿ يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة ﴾ : أنه يعرج إليه فى وقت من تلك الأوقات أو موقف من تلك المواقف . وحكى الثعلبى عن مجاهد وقتادة والضحاك أنه أراد سبحانه فى قوله : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ المسافة

من الأرض إلى سدرة المنتهى التى هى مقام جبريل ، والمراد : أنه يسير جبريل ومن معه من الملائكة فى ذلك المقام إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة فى مقدار يوم واحد من أيام الدنيا ، وأراد بقوله : ﴿ **فى يوم كان مقداره ألف سنة** ﴾ المسافة التى بين الأرض وبين سماء الدنيا هبوطا وصعودا فإنها مقدار ألف سنة من أيام الدنيا . وقيل : إن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر ؛ وذلك لأن من نفذ أمره غاية النفاذ فى يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ أمره فى سنين متطاولة، فقوله: ﴿ **فى يوم كان مقداره ألف سنة** ﴾ يعنى يدبر الأمر فى زمان يوم منه ألف سنة. فكم يكون الشهر منه ؟ وكم تكون السنة منه ؟ وعلى هذا فلا فرق بين ألف سنة وبين خمسين ألف سنة . وقيل غير ذلك . وقد وقف حبر الأمة ابن عباس لما سئل عن الآيتين كما سيأتى فى آخر البحث إن شاء الله . قرأ الجمهور : ﴿ **مما تعدون** ﴾ بالفوقية على الخطاب ، وقرأ الحسن والسلمى وابن وثاب والأعمش بالتحتية على الغيبة .

والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى الله سبحانه باعتبار اتصافه بتلك الأوصاف ، وهو مبتدأ وخبره: ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أى العالم بما غاب عن الخلق وما حضرهم . وفى هذا معنى التهديد لأنه سبحانه إذا علم بما يغيب وما يحضر، فهو مجاز لكل عامل بعمله. أو فهو يدبر الأمر بما تقتضيه حكمته ﴿**العزيز**﴾ القاهر الغالب ﴿**الرحيم**﴾ بعباده، وهذه أخبار لذلك المبتدأ، وكذلك قوله :﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه** ﴾ هوخبر آخر. قرأ الجمهور: ﴿**خلقه**﴾ بفتح اللام. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بإسكانها ، فعلى القراءة الأولى هو فعل ماض نعتا لشىء ، فهو فى محل جر . وقد اختار قراءة الجمهور أبو عبيد وأبو حاتم ، ويجوز أن تكون صفة للمضاف فيكون فى محل نصب . وأما على القراءة الثانية ففى نصبه أوجه : الأول : أن يكون بدلا من كل شىء بدل اشتمال والضمير عائد إلى كل شىء، وهذا هو الوجه المشهور عند النحاة. الثانى : أنه بدل كل من كل، والضمير راجع إلى الله سبحانه، ومعنى ﴿ **أحسن**﴾ : حسن ، لأنه ما من شىء إلا وهو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة، فكل المخلوقات حسنة. الثالث : أن يكون ﴿ **كل شىء** ﴾ هو المفعول الأول ، و﴿ **خلقه** ﴾ هو المفعول الثانى على تضمين أحسن معنى : أعطى ، والمعنى: أعطى كل شىء خلقه الذى خصه به. وقيل : على تضمينه معنى : ألهم . قال الفراء : ألهم خلقه كل شىء مما يحتاجون إليه . الرابع : أنه منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة، أى خلقه خلقا كقوله : ﴿ صنع الله ﴾ [النمل : ٨٨] وهذا قول سيبويه . والضمير يعود إلى الله سبحانه . والخامس : أنه منصوب بنزع الخافض، والمعنى : أحسن كل شىء فى خلقه ، ومعنى الآية: أنه أتقن وأحكم خلق مخلوقاته، فبعض المخلوقات وإن لم تكن حسنة فى نفسها ، فهى متقنة محكمة ، فتكون هذه الآية معناها معنى ﴿ أعطى كل شىء خلقه ﴾ [طه : ٥٠] أى لم يخلق الإنسان على خلق البهيمة ولا خلق [(١)] البهيمة على خلق الإنسان . وقيل : هو عموم فى اللفظ خصوص فى المعنى ، أى أحسن خلق كل شىء حسن .

(١) فى المطبوعة : « وخلق لا البهيمة » ولعله سبق قلم ، والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾ يعنى : آدم :خلقه من طين فصار على صورة بديعة وشكل حسن ﴿ **وجعل نسله** ﴾ أى ذريته ﴿ **من سلالة** ﴾ سميت الذرية سلالة لأنها تسل من الأصل وتنفصل عنه ، وقد تقدم تفسيرها فى سورة « المؤمنين » ؛ ومعنى ﴿ **من ماء مهين** ﴾ : من ماء ممتهن لا خطر له عند الناس وهو المنى . وقال الزجاج: من ماء ضعيف . ﴿ **ثم سواه** ﴾ أى الإنسان الذى بدأ خلقه من طين ، وهو آدم ، أو جميع النوع . والمراد : أنه عدل خلقه وسوى شكله وناسب بين أعضائه ﴿ **ونفخ فيه من روحه** ﴾ الإضافة للتشريف والتكريم ، وهذه الإضافة تقوى أن الكلام فى آدم لا فى ذريته وإن أمكن توجيهه بالنسبة إلى الجميع . ثم خاطب جميع النوع فقال: ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ أى خلق لكم هذه الأشياء تكميلا لنعمته عليكم وتتميما لتسويته لخلقكم حتى تجتمع لكم النعم ، فتسمعون كل مسموع وتبصرون كل مبصر ، وتتعقلون كل متعقل ، وتفهمون كل ما يفهم . وأفرد السمع لكونه مصدرا يشمل القليل والكثير ، وخص السمع بذكر المصدر دون البصر والفؤاد فذكرهما بالاسم ولهذا جمعا ؛ لأن السمع قوة واحدة ولها محل واحد ، وهو الأذن ولا اختيار لها فيه ، فإن الصوت يصل إليها ولا تقدر على رده ، ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعض ؛ بخلاف الأبصار فمحلها العين وله فيه اختيار ، فإنها تتحرك إلى جانب المرئى دون غيره ، وتطبق أجفانها إذا لم ترد الرؤية لشىء ؛ وكذلك الفؤاد له نوع اختيار فى إدراكه ، فيتعقل هذا دون هذا ، ويفهم هذا دون هذا . قرأ الجمهور : ﴿ **وبدأ** ﴾ بالهمز ، والزهرى بألف خالصة بدون همز ، وانتصاب ﴿**قليلا ما تشكرون** ﴾ على أنه صفة مصدر محذوف، أى شكرا قليلا ، أو صفة زمان محذوف ، أى زمانا قليلا . وفى هذا بيان لكفرهم لنعم الله وتركهم لشكرها إلا فيما ندر من الأحوال .

﴿ **وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض** ﴾ قد تقدم اختلاف القراء فى هذه الهمزة وفى الهمزة التى بعدها . والضلال : الغيبوبة ، يقال : ضل الميت فى التراب : إذا غاب وبطل ، والعرب تقول للشىء إذا غلب عليه غيره حتى خفى أثره : قد ضل . ومنه قول الأخطل :

كنت القذى فى موج أكدر مزبد قذف الأتى بها فضل ضلالا

قال قطرب : معنى ﴿ **ضللنا فى الأرض** ﴾ : غبنا فى الأرض . قرأ الجمهور ﴿ **ضللنا** ﴾ بفتح ضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى : ذهبنا وضعنا وصرنا ترابا وغبنا عن الأعين ، وقرأ يحيى ابن يعمر وابن محيصن وأبو رجاء : « ضللنا » بكسر اللام ، وهى لغة العالية من نجد . قال الجوهرى : وأهل العالية يقولون : ضللت بالكسر . قال : وأضله ، أى أضاعه وأهلكه ، يقال: ضل الميت : إذا دفن . وقرأ على بن أبى طالب والحسن والأعمش وأبان بن سعيد : « صللنا » بصاد مهملة ولام مفتوحة ، أى أنتنا . قال النحاس : ولا يعرف فى اللغة : صللنا ، ولكن يقال: صل اللحم : إذا أنتن . قال الجوهرى : صل اللحم يصل بالكسر صلولا : إذا أنتن ، مطبوخا كان أو نيئا ، ومنه قول الحطيئة :

ذاك فتى يبذل ذا قدرة لا يفسد اللحم لديه الصلول

﴿ **أإنا لفى خلق جديد** ﴾ أى نبعث ونصير أحياء ، والاستفهام للاستنكار . وهذا قول منكرى البعث من الكفار ، فأضرب الله سبحانه من بيان كفرهم بإنكار البعث إلى بيان ما هو أبلغ منه ، وهو كفرهم بلقاء الله ، فقال : ﴿ **بل هم بلقاء ربهم كافرون** ﴾ أى جاحدون له مكابرة وعنادا ، فإن اعترافهم بأنه المبتدئ للخلق يستلزم اعترافهم بأنه قادر على الإعادة .

ثم أمر سبحانه رسوله ﷺ أن يبين لهم الحق ويرد عليهم ما زعموه من الباطل ، فقال : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم** ﴾ يقال :توفاه الله واستوفى روحه إذا قبضه إليه ، وملك الموت هو : عزرائيل ، ومعنى ﴿ **وكل بكم** ﴾ : وكل بقبض أرواحكم عند حضور آجالكم ﴿ **ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ أى تصيرون إليه أحياء بالبعث والنشور لا إلى غيره، فيجازيكم بأعمالكم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يدبر الأمر** ﴾ الآية قال : هذا فى الدنيا ، تعرج الملائكة فى يوم مقداره ألف سنة. وأخرج الفريابى وابن جرير وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه عنه فى قوله : ﴿ **فى يوم كان مقداره ألف سنة** ﴾ قال : من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض. وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف،والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبى مليكة قال: دخلت على عبد الله بن عباس أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان ، فقال له ابن فيروز : يا ابن عباس ، قوله: ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقدره ألف سنة** ﴾ فكأن ابن عباس اتهمه فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ قال : إنما سألتك لتخبرنى، فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله فى كتابه الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم ، فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب ، فسأله عنهما إنسان فلم يخبره ولم يدر . فقلت : ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس ؟ قال : بلى ، فأخبرته ، فقال للسائل : هذا ابن عباس قد أبى أن يقول فيها ، وهو أعلم منى. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **كان مقداره ألف سنة** ﴾ قال : لا يتنصف النهار فى مقدار يوم من أيام الدنيا فى ذلك اليوم حتى يقضى بين العباد ، فينزل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ولو كان إلى غيره لم يفرغ فى خمسين ألف سنة . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى قوله: ﴿ **ثم يعرج إليه فى يوم** ﴾ من أيامكم هذه ، ومسيرة ما بين السماء والأرض خمسمائة عام .

وأخرج ابن أبى شيبة ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس أنه كان يقرأ : ﴿ **الذى أحسن كلّ شىء خلقه** ﴾ قال: أما رأيت القردة ليست بحسنة، ولكنه أحكم خلقها . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا فى الآية أنه قال : أما إن است القردة ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها، وقال ﴿ **خلقه** ﴾ صورته. وقال ﴿ **أحسن كلّ شىء** ﴾ القبيح

والحسن والعقارب والحيات وكلّ شيء مما خلق ، وغيره لا يحسن شيئا من ذلك . وأخرج الطبرانى عن أبى أمامة قال : بينما نحن مع رسول اللّه ﷺ إذ لقينا عمرو بن زرارة الأنصارى فى حلة قد أسبل ، فأخذ النبى ﷺ بناحية ثوبه ، فقال : يا رسول الله ، إنى أحمش الساقين، فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو بن زرارة إن الله عز وجل قد أحسن كل شيء خلقه، يا عمرو ابن زرارة إن الله لا يحب المسبلين » . وأخرج أحمد والطبرانى عن الشريد بن سويد قال : أبصر النبى ﷺ رجلا قد أسبل إزاره . فقال: « ارفع إزارك » ، فقال : يا رسول الله ، إنى أحنف تصطك ركبتاى ، فقال : « ارفع إزارك كل خلق الله حسن » (١) .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) ﴾ .

قوله : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ﴾ المراد بالمجرمين هم : القائلون : ﴿ أئذا ضللنا ﴾ ، والخطاب هنا لكل من يصلح له ، أو لرسول الله ﷺ . ويجوز أن يراد بالمجرمين كل مجرم ، ويدخل فيه أولئك القائلون دخولا أوليا ، ومعنى ﴿ ناكسو رؤوسهم ﴾ : مطأطئوها حياء وندما على ما فرط منهم فى الدنيا من الشرك بالله والعصيان له ، ومعنى عند ربهم : عند محاسبته لهم . قال الزجاج : والمخاطبة للنبى ﷺ مخاطبة لأمته ، فالمعنى : ولو ترى يا محمد منكرى البعث يوم القيامة لرأيت العجب ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أى يقولون : ربنا أبصرنا الآن ما كنا نكذب به وسمعنا ما كنا ننكره . وقيل : أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك ، فهؤلاء أبصروا حين لم ينفعهم البصر ، وسمعوا حين لم

(١) أحمد ٤/ ٣٩٠ والطبرانى (٧٢٤٠) قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٢٧ : « ورجال أحمد رجال الصحيح ».

ينفعهم السمع ﴿ **فارجعنا** ﴾ إلى الدنيا ﴿ **نعمل** ﴾ عملا ﴿ **صالحا** ﴾ كما أمرتنا ﴿ **إنا موقنون** ﴾ أى مصدقون . وقيل : مصدقون بالذى جاء به محمد ﷺ ، وصفوا أنفسهم بالإيقان الآن طمعا فيما طلبوه من إرجاعهم إلى الدنيا ، وأنى لهم ذلك فقد حقت عليهم كلمة الله فإنهم ﴿ لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام : ٢٨] . وقيل : معنى ﴿ **إنا موقنون** ﴾ أنها قد زالت عنهم الشكوك التى كانت تخالطهم فى الدنيا لما رأوا ما رأوا وسمعوا ما سمعوا ، ويجوز أن يكون معنى ﴿ **أبصرنا وسمعنا** ﴾ : صرنا ممن يسمع ويبصر فلا يحتاج إلى تقدير مفعول، ويجوز أن يكون صالحا مفعولا لـ ﴿ **نعمل** ﴾ كما يجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف ، وجواب لو محذوف ، أى لرأيت أمرا فظيعا وهولا هائلا .

﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ﴾ هذا رد عليهم لما طلبوا الرجعة ، أى لو شئنا لآتينا كل نفس هداها فهدينا الناس جميعا فلم يكفر منهم أحد . قال النحاس : فى معنى هذا قولان : أحدهما : أنه فى الدنيا ، والآخر : أنه فى الآخرة ، أى ولو شئنا لرددناهم إلى الدنيا ﴿ **ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ وجملة : ﴿ **ولو شئنا** ﴾ مقدرة بقول معطوف على المقدر قبل قوله : ﴿ **أبصرنا** ﴾ أى ونقول : لو شئنا ، ومعنى ﴿ **ولكن حق القول منى** ﴾ : أى نفذ قضائى وقدرى وسبقت كلمتى ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ هذا هو القول الذى وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاؤه ، فكان مقتضى هذا القول أنه لا يعطى كل نفس هداها ، وإنما قضى عليهم بهذا ، لأنه سبحانه قد علم أنهم من أهل الشقاوة ، وأنهم ممن يختار الضلالة على الهدى .

والفاء فى قوله: ﴿ **فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ لترتيب الأمر بالذوق على ما قبله ، والباء فى ﴿ **بما نسيتم** ﴾ للسببية ، وفيه إشعار بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق القول المتقدم ، بل بذاك وهذا واختلف فى النسيان المذكور هنا ، فقيل : هو النسيان الحقيقى ، وهو الذى يزول عنده الذكر . وقيل : هو الترك . والمعنى على الأول : أنهم لم يعملوا لذلك اليوم ، فكانوا كالناسين له الذين لا يذكرونه . وعلى الثانى : لابد من تقدير مضاف قبل لقاء ، أى ذوقوا بسبب تركككم لما أمرتكم به عذاب لقاء يومكم هذا ، ورجح الثانى المبرد وأنشد :

كأنه خارج من جنب صفحته ... سفود شرب نسوه عند مفتأد

أى تركوه ، وكذا قال الضحاك ويحيى بن سلام : إن النسيان هنا بمعنى : الترك . قال يحيى بن سلام : والمعنى : بما تركتم الإيمان بالبعث فى هذا اليوم تركناكم من الخير ، وكذا قال السدى ، وقال مجاهد :تركناكم فى العذاب. وقال مقاتل : إذا دخلوا النار . قالت لهم الخزنة : ذوقوا العذاب بما نسيتم ، واستعار الذوق للإحساس ، ومنه قول طفيل :

فذوقوا كما ذقنا غداة محجرٍ ... من الغيظ فى أكبادنا والتحوب

وقوله : ﴿ **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** ﴾ تكرير لقصد التأكيد ، أى ذوقوا العذاب الدائم الذى لا ينقطع أبدا بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الكفر والمعاصى. قال الرازى فى تفسيره: إن اسم الإشارة فى قوله : ﴿ **بما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه : أن يكون إشارة إلى اللقاء، وأن يكون إشارة إلى اليوم، وأن يكون إشارة إلى العذاب .

وجملة : ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا** ﴾ مستأنفة لبيان ما يستحق الهداية إلى الإيمان ، ومن لا يستحقها . والمعنى : إنما يصدق بآياتنا وينتفع بها ﴿ **الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا** ﴾ لا غيرهم ممن يذكر بها ، أى يوعظ بها ولا يتذكر ولا يؤمن بها ، ومعنى ﴿ **خروا سجدا** ﴾ : سقطوا على وجوههم ساجدين تعظيما لآيات الله وخوفا من سطوته وعذابه ﴿ **وسبحوا بحمد ربهم** ﴾ أى نزهوه عن كل مالا يليق به ملتبسين بحمده على نعمه ، التى أجلها وأكملها الهداية إلى الإيمان ، والمعنى: قالوا فى سجودهم : سبحان الله وبحمده ، أو سبحان ربى الأعلى وبحمده . وقال سفيان : المعنى : صلوا حمدا لربهم ، وجملة : ﴿ **وهم لا يستكبرون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى حال كونهم خاضعين لله ، متذللين له غير مستكبرين عليه .

﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ أى ترتفع وتنبو ، يقال : جفى الشىء عن الشىء وتجافى عنه: إذا لم يلزمه ونبا عنه ، والمضاجع جمع: المضجع، وهو الموضع الذى يضطجع فيه. قال الزجاج والرمانى : التجافى والتجفى إلى جهة فوق، وكذلك هو فى الصفح عن المخطئ فى سب ونحوه . والجنوب :جمع جنب ، والجملة فى محل نصب على الحال ، أى متجافية جنوبهم عن مضاجعهم ، وهم المتهجدون فى الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش ، وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور . والمراد بالصلاة : صلاة التنفل بالليل من غير تقييد . وقال قتادة وعكرمة : هو التنفل ما بين المغرب والعشاء . وقيل : صلاة العشاء فقط . وهو رواية عن الحسن وعطاء . وقال الضحاك : صلاة العشاء والصبح فى جماعة . وقيل : هم الذين يقومون لذكر الله سواء كان فى صلاة أو غيرها ﴿ **يدعون ربهم خوفا وطمعا** ﴾ : هذه الجملة فى محل نصب على الحال أيضا من الضمير الذى فى جنوبهم ، فهى حال بعد حال ، ويجوز أن تكون الجملة الأولى مستأنفة لبيان نوع من أنواع طاعاتهم ، والمعنى : تتجافى جنوبهم حال كونهم داعين ربهم خوفا من عذابه وطمعا فى رحمته ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ أى من الذى رزقناهم أو من رزقهم ، وذلك الصدقة الواجبة . وقيل : صدقة النفل ، والأولى الحمل على العموم . وانتصاب ﴿ **خوفا** ﴾ و﴿ **طمعا** ﴾ على العلة ، ويجوز أن يكونا مصدرين منتصبين بمقدر .

﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ النكرة فى سياق النفى تفيد العموم ، أى لا تعلم نفس من النفوس ، أى نفس كانت ، ما أخفاه الله سبحانه لأولئك الذين تقدم ذكرهم ، مما تقر به أعينهم ، قرأ الجمهور ﴿ **من قرة** ﴾ بالإفراد . وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة وأبو الدرداء : « من قرات » بالجمع ، وقرأ حمزة « ما أخفى » بسكون الياء على أنه فعل مضارع مسند إلى الله سبحانه . وقرأ الباقون بفتحها فعلا ماضيا مبنيا للمفعول . وقرأ ابن مسعود : « ما نخفى »

بالنون مضمومة ، وقرأ الأعمش :« يخفى » بالتحتية مضمومة . قال الزجاج فى معنى قراءة حمزة : أى منه ما أخفى الله لهم ، وهى قراءة محمد بن كعب ، و« ما » فى موضع نصب . ثم بين سبحانه أن ذلك بسبب أعمالهم الصالحة فقال : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ أى لأجل الجزاء بما كانوا يعملونه فى الدنيا أو جوزوا جزاء بذلك .

﴿ **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا** ﴾ الاستفهام للإنكار ، أى ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت ، ولهذا قال : ﴿ **لا يستوون** ﴾ ففيه زيادة تصريف لما أفاده الإنكار الذى أفاده الاستفهام . قال الزجاج : جعل الاثنين جماعة حيث قال : ﴿ **لا يستوون** ﴾ لأجل معنى من . وقيل : لكون الاثنين أقل الجمع ، وسيأتى بيان سبب نزولها آخر البحث . ثم بين سبحانه عاقبة حال الطائفتين وبدأ بالمؤمنين فقال : ﴿ **أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **جنات** ﴾ بالجمع . وقرأ طلحة بن مصرف : « جنة المأوى » بالإفراد ، والمأوى هو الذى يأوون إليه ، وأضاف الجنات إليه ، لكونه المأوى الحقيقى . وقيل : المأوى : جنة من الجنات ، وقد تقدم الكلام على هذا ، ومعنى ﴿ **نزلا** ﴾ : أنها معدة لهم عند نزولهم ، وهو فى الأصل : ما يعد للنازل من الطعام والشراب كما بيناه فى آل عمران ، وانتصابه على الحال . وقرأ أبو حيوة : « نزلا » بسكون الزاى . والباء فى ﴿ **بما كانوا يعملون** ﴾ للسببية ، أى بسبب ما كانوا يعملونه ، أو بسبب عملهم .

ثم ذكر الفريق الآخر فقال : ﴿ **وأما الذين فسقوا** ﴾ أى خرجوا عن طاعة الله وتمردوا عليه وعلى رسله ﴿ **فمأواهم النار** ﴾ أى منزلهم الذى يصيرون إليه ويستقرون فيه هو النار ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ أى إذا أرادوا الخروج منها، ردوا إليها راغمين مكرهين . وقيل : إذ دفعهم اللهب إلى أعلاها ردوا إلى مواضعهم ﴿ **وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون** ﴾ والقائل لهم هذه المقالة هو خزنة جهنم من الملائكة ، أو القائل لهم هو الله عز وجل . وفى هذا القول لهم حال كونهم قد صاروا فى النار من الإغاظة لهم ما لا يخفى . ﴿**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى** ﴾ وهو عذاب الدنيا. قال الحسن وأبو العالية والضحاك والنخعى: هو مصائب الدنيا وأسقامها .وقيل : الحدود . وقيل : القتل بالسيف يوم بدر. وقيل :سنين الجوع بمكة . وقيل :عذاب القبر ، ولا مانع من الحمل على الجميع ﴿ **دون العذاب الأكبر** ﴾ وهو عذاب الآخرة ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ مما هم فيه من الشرك والمعاصى بسبب ما ينزل بهم من العذاب إلى الإيمان والطاعة ويتوبون عما كانوا فيه . وفى هذا التعليل دليل على ضعف قول من قال : إن العذاب الأدنى هو عذاب القبر .

﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها** ﴾ أى لا أحد أظلم منه لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الإقبال على الإيمان والطاعة ، فجعل الإعراض مكان ذلك ، والمجىء بثم للدلالة على استبعاد ذلك . وأنه مما ينبغى أن لا يكون ﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ أى من أهل الإجرام على العموم فيدخل فيه من أعرض عن آيات الله دخولا أوليا .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إنا نسيناكم** ﴾ قال : تركناكم . وأخرج البيهقى فى الشعب عنه قال : نزلت هذه الآية فى شأن الصلوات الخمس: ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا** ﴾ أى أتوها ﴿ **وسبحوا** ﴾ أى صلوا بأمر ربهم ﴿ **وهم لا يستكبرون** ﴾ عن إتيان الصلاة فى الجماعات . وأخرج الترمذى وصححه ، وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه ، ومحمد بن نصر فى كتاب الصلاة عن أنس بن مالك ؛ أن هذه الآية ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة [١] . وأخرج البخارى فى تاريخه ، وابن مردويه عنه قال : نزلت فى صلاة العشاء . وأخرج الفريابى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضا فى الآية قال : كانوا لا ينامون حتى يصلوا العشاء. وأخرج ابن أبى شيبة عنه قال: كنا نجتنب الفرش قبل صلاة العشاء . وأخرج عبد الرزاق فى المصنف، وابن مردويه عنه أيضا قال: ما رأيت رسول الله ﷺ راقدا قط قبل العشاء ، ولا متحدثا بعدها ، فإن هذه الآية نزلت فى ذلك : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ [٢] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ قال: « هم الذين لا ينامون قبل العشاء فأثنى عليهم » . فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة أن تغلبه عينه فوقتها قبل أن ينام الصغير ويكسل الكبير .

وأخرج ابن مردويه عن بلال قال : كنا نجلس فى المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب العشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع . وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن عدى وابن مردويه عن أنس نحوه . وأخرج ابن أبى شيبة وأبو داود ومحمد بن نصر وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى سننه عن أنس فى قوله : ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ قال : كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون [٣] . وأخرج أحمد وابن جرير وابن مردويه عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿**تتجافى جنوبهم** ﴾ قال : قيام العبد من الليل [٤] . وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجة وابن نصر فى كتاب الصلاة وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ ، وذكرحديثا وأرشد فيه إلى أنواع من الطاعات وقال فيه :« وصلاة الرجل فى جوف الليل » ، ثم قرأ : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن**

---

(١) الترمذى فى التفسير (٣١٩٦) وقال : « هذا حديث حسن صحيح غريب » وابن جرير ٢١/ ٦٤ . قال ابن كثير ٥/ ٤٠٩ : « وإسناده جيد » .

(٢) عبد الرزاق (٢١٣٨) وأخرجه عن عائشة أيضا (٢١٣٧) وفى إسناد الأخير قال الهيثمى ١/ ٣١٦ : « رجاله رجال الصحيح » .

(٣) ابن أبى شيبة ٢/ ١٩٨ وأبو داود فى الصلاة (١٣٢١) وابن جرير ٢١/ ٦٣ والبيهقى ٣/ ١٩ .

(٤) أحمد ٥/ ٢٣٧ وابن جرير ٢١/ ٦٥ .

المضاجع ﴾ [١] وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة مرفوعا فى حديث قال فيه : « وصلاة المرء فى جوف الليل » ، ثم تلا هذه الآية . وأخرج ابن مردويه عن أنس فى الآية قال : كان لا تمر عليهم ليلة إلا أخذوا منها . وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد من طريق أبى عبد الله الجدلى عن عبادة بن الصامت عن كعب قال : إذا حشر الناس نادى مناد : هذا يوم الفصل أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع » الحديث . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى الآية يقول: تتجافى لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله ، إما فى الصلاة ، وإما فى القيام أو القعود . أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله .

وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، والبيهقى فى البعث عن ابن عباس قال: كان عرش الله على الماء فاتخذ جنة لنفسه . ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة ، ثم قال ﴿ ومن دونهما جنتان ﴾ [الرحمن: ٦٢] لم يعلم الخلق ما فيهما. وهى التى قال الله: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾** [٢] تأتيهم منها كل يوم تحفة . وأخرج الفريابى وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : إنه لمكتوب فى التوراة: لقد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلم ملك مقرب ولا نبى مرسل، وإنه لفى القرآن: ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾** [٣] . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » . قال أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾**[٤] . وفى الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة، وهى معروفة فلا نطول بذكرها.

وأخرج أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى ، والواحدى وابن عدى وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس قال : قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبى طالب : أنا أحد منك سنانا ، وأنشط منك لسانا ، وأملأ للكتيبة منك ، فقال له على : اسكت فإنما أنت فاسق ، فنزلت : ﴿ **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾** [٥] يعنى بالمؤمن : عليا ،

---

(١) أحمد ٥ / ٢٣٧ والترمذى فى الإيمان (٢٦١٦) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٤١٤) وابن ماجة فى الفتن (٣٩٧٣) وابن جرير ٢١/ ٦٤ وصححه الحاكم ٢/ ٤١٣ وقال : « على شرط الشيخين ووافقه الذهبى » والبيهقى ٩/ ٢٠ .

(٢) ابن جرير ٢١/ ٦٦ وصححه الحاكم ٢/ ٤٧٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

(٣) ابن أبى شيبة فى الجنة (١٥٨٥٠) وابن جرير ٢١/ ٦٥ وصححه الحاكم ٢/ ٤١٤ ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٩٣ : « رواه الطبرانى عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم وهو ضعيف » .

(٤) أحمد ٢/ ٤٣٨ والبخارى فى التفسير (٤٧٧٩) ومسلم فى الجنة (٢٨٢٤/ ٢) والترمذى (٣١٩٧) وقال: « هذا حديث حسن صحيح » .

(٥) الأغانى ٤/ ١٨٢ والواحدى فى أسباب النزول (٥٠٠) .

وبالفاسق : الوليد بن عقبة بن أبى معيط . وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عنه فى الآية نحوه . وروى نحو هذا عن عطاء بن يسار والسدى وعبد الرحمن بن أبى ليلى .

وأخرج الفريابى وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى** ﴾ قال :يوم بدر ﴿ **دون العذاب الأكبر** ﴾ قال : يوم القيامة ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ قال : لعل من بقى منهم أن يتوب فيرجع . وأخرج ابن أبى شيبة والنسائى وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود فى الآية قال : العذاب الأدنى: سنون أصابتهم ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ قال : يتوبون . وأخرج مسلم وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وأبو عوانة فى صحيحه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب عن أبى بن كعب فى قوله: ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى** ﴾ قال : مصائب الدنيا والروم ، والبطشة والدخان . وأخرج ابن جرير عنه قال : يوم بدر . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ **من العذاب الأدنى** ﴾ قال: الحدود ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ قال : يتوبون. وأخرج ابن منيع وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه ، قال السيوطى : بسند ضعيف ، عن معاذ بن جبل : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« ثلاث من فعلهن فقد أجرم : من عقد لواء فى غير حق ، أو عق والديه ، أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم ، يقول الله : ﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ »(١) . قال ابن كثير بعد إخراجه : هذا حديث غريب(٢) .

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠)** ﴾ .

قوله: ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب** ﴾ أى التوراة ﴿ **فلا تكن** ﴾ يا محمد ﴿ **فى مرية** ﴾ أى شك وريبة ﴿ **من لقائه** ﴾ قال الواحدى : قال المفسرون : وعد رسول الله ﷺ أنه سيلقى

---

(١) ابن جرير ٢١/ ٧٠ والطبرانى ٢٠ / ٦١ (١١٢) وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٩٣ : « فيه عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة وهو ضعيف » .

(٢) ابن كثير ٥/ ٤١٥ .

موسى قبل أن يموت ، ثم لقيه فى السماء أو فى بيت المقدس حين أسرى به . وهذا قول مجاهد والكلبى والسدى . وقيل : فلا تكن فى شك من لقاء موسى فى القيامة وستلقاه فيها . وقيل : فلا تكن فى شك من لقاء موسى للكتاب . قاله الزجاج . وقال الحسن : إن معناه : ولقد آتينا موسى الكتاب فكذب وأوذى ، فلا تكن فى شك من أنه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى فيكون الضمير فى لقائه على هذا عائدا على محذوف ، والمعنى : من لقاء ما لاقى موسى . قال النحاس : وهذا قول غريب . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم، فلا تكن فى مرية من لقائه ، فجاء معترضا بين ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب** ﴾ وبين ﴿ **وجعلناه هدى لبنى إسرائيل** ﴾ وقيل : الضمير راجع إلى الكتاب الذى هو الفرقان كقوله : ﴿ وإنك لتلقى القرآن ﴾ [النمل : ٦] والمعنى : أنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى ، فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ونظيره ، وما أبعد هذا ، ولعل الحامل لقائله عليه قوله : ﴿ **وجعلناه هدى لبنى إسرائيل** ﴾ فإن الضمير راجع إلى الكتاب . وقيل : إن الضمير فى ﴿ **لقائه** ﴾ عائد إلى الرجوع المفهوم من قوله : ﴿ **ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ أى لا تكن فى مرية من لقاء الرجوع ، وهذا بعيد أيضا . واختلف فى الضمير فى قوله : ﴿ **وجعلناه** ﴾ فقيل : هو راجع إلى الكتاب ، أى جعلنا التوراة هدى لبنى إسرائيل ، قاله الحسن وغيره . وقال قتادة : إنه راجع إلى موسى ، أى وجعلنا موسى هدى لبنى إسرائيل .

﴿ **وجعلنا منهم أئمة** ﴾ أى قادة يقتدون به فى دينهم ، وقرأ الكوفيون : « أئمة » قال النحاس : وهو لحن عند جميع النحويين ، لأنه جمع بين همزتين فى كلمة واحدة ، ومعنى ﴿**يهدون بأمرنا** ﴾: أى يدعونهم إلى الهداية بما يلقونه إليهم من أحكام التوارة ومواعظها بأمرنا ، أى بأمرنا لهم بذلك ، أو لأجل أمرنا . وقال قتادة : المراد بالأئمة : الأنبياء منهم . وقيل: العلماء ﴿ **لما صبروا** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **لما** ﴾ بفتح اللام وتشديد الميم ، أى حين صبروا ، والضمير للأئمة، وفى «لما» معنى الجزاء ، والتقدير : لما صبروا جعلناهم أئمة . وقرأ حمزة والكسائى وخلف وورش عن يعقوب ويحيى بن وثاب بكسر اللام وتخفيف الميم ، أى جعلناهم أئمة لصبرهم ، واختار هذه القراءة أبو عبيد مستدلا بقراءة ابن مسعود : « بما صبروا » بالباء ، وهذا الصبر هو صبرهم على مشاق التكليف والهداية للناس، وقيل : صبروا عن الدنيا ﴿ **وكانوا بآياتنا** ﴾ التنزيلية ﴿ **يوقنون** ﴾ أى يصدقونها ويعلمون وأنها حق وأنها من عند الله ؛ لمزيد تفكرهم وكثرة تدبرهم .

﴿**إن ربك هو يفصل بينهم**﴾ أى يقضى بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار ﴿**يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ وقيل : يقضى بين الأنبياء وأممهم ، حكاه النقاش . ﴿ **أو لم يهد لهم** ﴾ أى أو لم يبين لهم ، والهمزة للإنكار ، والفاعل ما دل عليه ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من القرون**﴾ أى أو لم نبين لهم كثرة إهلاكنا من قبلهم. قال الفراء : ﴿ **كم** ﴾ فى موضع رفع بـ ﴿ **يهد** ﴾.

وقال المبرد : إن الفاعل : الهدى المدلول عليه بـ ﴿ **يهد** ﴾ ، أى أو لم يهد لهم الهدى . وقال الزجاج : ﴿ **كم** ﴾ فى موضع نصب بـ ﴿ **أهلكنا** ﴾ ، قرأ الجمهور: ﴿ **أو لم يهد** ﴾ بالتحتية ، وقرأ السلمى وقتادة وأبو زيد عن يعقوب بالنون ، وهذه القراءة واضحة . قال النحاس : والقراءة بالياء التحتية فيها إشكال ؛ لأنه يقال : الفعل لا يخلو من فاعل فأين الفاعل لـ ﴿ **يهد** ﴾ ؟ ويجاب عنه بأن الفاعل هو ماقدمنا ذكره، والمراد بالقرون : عاد وثمود ونحوهم ، وجملة : ﴿**يمشون فى مساكنهم** ﴾ فى محل نصب على الحال من ضمير لهم ، أى والحال أنهم يمشون فى مساكن المهلكين ويشاهدونها ، وينظرون ما فيها من العبر ، وآثار العذاب . ولا يعتبرون بذلك . وقيل : يعود إلى المهلكين ، والمعنى : أهلكناهم حال كونهم ماشين فى مساكنهم ، والأول أولى ﴿ **إن فى ذلك** ﴾ المذكور ﴿ **لآيات** ﴾ عظيمات ، أفلا يسمعونها ويتعظون بها .

﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز** ﴾ أى أو لم يعلموا بسوقنا الماء إلى الأرض التى لا تنبت إلا بسوق الماء إليها . وقيل : هى اليابسة ، وأصله من الجرز وهو: القطع أى التى قطع نباتها لعدم الماء ، ولا يقال للتى لا تنبت أصلا كالسباخ جرز لقوله : ﴿ **فنخرج به زرعا** ﴾ قيل : هى أرض اليمن . وقيل : أرض عدن . وقال الضحاك : هى الأرض العطشى . وقال الفراء : هى الأرض التى لا نبات فيها . وقال الأصمعى : هى الأرض التى لا تنبت شيئا . قال المبرد : يبعد أن تكون لأرض بعينها لدخول الألف واللام . وقيل : هى مشتقة من قولهم : رجل جروز : إذا كان لا يبقى شيئا إلا أكله ، ومنه قول الراجز :

خب جروز وإذا جاع بكى ويأكل التمر ولا يلقى النوى

وكذلك ناقة جروز : إذا كانت تأكل كل شىء تجده . وقال مجاهد : إنها أرض النيل ؛ لأن الماء إنما يأتيها فى كل عام ﴿ **فنخرج به** ﴾ ، أى بالماء ﴿ **زرعا تأكل منه أنعامهم** ﴾ أى من الزرع كالتبن والورق ونحوهما مما لا يأكله الناس ﴿ **وأنفسهم** ﴾ أى يأكلون الحبوب الخارجة فى الزرع مما يقتاتونه ، وجملة : ﴿ **تأكل منه أنعامهم** ﴾ فى محل نصب على الحال ﴿ **أفلا يبصرون** ﴾ هذه النعم ويشكرون المنعم ويوحدونه ، لكونه المنفرد بإيجاد ذلك . ﴿ **ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين** ﴾ القائلون هم الكفار على العموم ، أو كفار مكة على الخصوص ، أى متى الفتح الذى تعدونا به ، يعنون بالفتح: القضاء والفصل بين العباد، وهو يوم البعث الذى يقضى الله فيه بين عباده، قاله مجاهد وغيره . وقال الفراء والقتيبى: هو فتح مكة . قال قتادة : قال أصحاب النبى ﷺ للكفار : إن لنا يوما ننعم فيه ونستريح ويحكم الله بيننا وبينكم ، يعنون يوم القيامة ، فقال الكفار : متى هذا الفتح ؟ وقال السدى : هو يوم بدر ، لأن أصحاب النبى ﷺ كانوا يقولون للكفار : إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم ، « ومتى » فى قوله : ﴿ **متى هذا الفتح** ﴾ فى موضع رفع ، أو فى موضع نصب على الظرفية.

ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يجيب عليهم فقال : ﴿ **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون** ﴾ وفى هذا دليل على أن يوم الفتح هو يوم القيامة ؛ لأن يوم فتح مكة ويوم بدر هما مما ينفع فيه الإيمان. وقد أسلم أهل مكة يوم الفتح ، وقبل ذلك منهم النبى ﷺ ، ومعنى ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ : لا يمهلون ولا يؤخرون ، « ويوم » فى ﴿ **يوم الفتح** ﴾ منصوب على الظرفية ، وأجاز الفراء الرفع ﴿ **فأعرض عنهم** ﴾ أى عن سفههم وتكذيبهم ولا تجبهم إلا بما أمرت به ﴿ **وانتظر إنهم منتظرون** ﴾ أى وانتظر يوم الفتح، وهو يوم القيامة ، أو يوم إهلاكهم بالقتل ، إنهم منتظرون بك حوادث الزمان من موت أو قتل أو غلبة كقوله : ﴿ فتربصوا إنا معكم متربصون ﴾ [التوبة : ٥٢] ويجوز أن يراد : إنهم منتظرون لإهلاكهم ، والآية منسوخة بآية السيف. وقيل : غير منسوخة ، إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال . وقرأ ابن السميقع : « إنهم منتظرون » بفتح الظاء مبنيا للمفعول ، ورويت هذه القراءة عن مجاهد وابن محيصن . قال الفراء : لا يصح هذا إلا بإضمار ، أى إنهم منتظر بهم . قال أبو حاتم : الصحيح الكسر ، أى انتظر عذابهم إنهم منتظرون هلاكك .

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس قال : قال النبى ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بى موسى بن عمران رجلا طويلا جعدا كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض مبطط الرأس ، ورأيت مالكا خازن جهنم والدجال فى آيات أراهن الله إياه » [(١)] قال : ﴿ **فلا تكن فى مرية من لقائه** ﴾ فكان قتادة يفسرها : أن النبى ﷺ قد لقى موسى ﴿ **وجعلناه هدى لبنى إسرائيل** ﴾ قال : جعل الله موسى هدى لبنى إسرائيل . وأخرج الطبرانى وابن مردويه والضياء فى المختارة بسند ، قال السيوطى : صحيح ، عن ابن عباس عن النبى ﷺ : ﴿ **فلا تكن فى مرية من لقائه** ﴾ قال :« من لقاء موسى » ، قيل : أو لقى موسى ؟ قال : نعم ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا ﴾ [الزخرف: ٤٥] وأخرج الفريابى، وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز** ﴾ قال : الجرز التى لا تمطر إلا مطرا لا يغنى عنها شيئا إلا ما يأتيها من السيول. وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير، وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله: ﴿ **إلى الأرض الجرز** ﴾ قال : أرض باليمن . قال القرطبى فى تفسيره : والإسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه [(٢)] . وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله: ﴿**ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين** ﴾ قال : يوم بدر فتح للنبى ﷺ فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت.

---

(١) أحمد ١ / ٢٤٥ والبخارى فى بدء الخلق (٣٢٣٩) ومسلم فى الإيمان (١٦٥ / ٢٦٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٩٣ : « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » .

(٢) القرطبى ٨ / ٥١٩٣ .